

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ١ مِنْ ربيع الثاني ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، مَهْمَا تَنَاءَتْ أَقْطَارُهُ، وَتَبَايَنْتَ أَجْنَاسُهُ وَالْوَانُهُ، وَتَبَاعَدَتْ دِيَارُهُ، فَالْمُؤْمِنُونَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، يُوَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَفْرَحُ أَحَدُهُمْ لِفَرَحِ أَخِيهِ، كَمَا يَأْلَمُ وَيَحْزَنُ لِمُصَابِهِ وَأَلَمِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَالنَّصِيرُ، النَّصْرُ مِنْهُ وَبِيَدِهِ، هُوَ مَنْ يُؤَيِّدُ، وَيَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَمْلِكُ مَخْلُوقٌ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا لغيرِهِ عِزًّا وَلَا نَصْرًا، فَالْمَنْصُورُ مَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ، وَالْمَغْلُوبُ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ. فَالْمُؤْمِنُونَ شِعَارُهُمْ وَعُنْوَانُ حَيَاتِهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عِزِّي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ. يُوقِنُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لِيُضْعِفَ يَقِينَهُمْ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمَّا يَرَوْنَهُ مِنْ تَسَلُّطِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، قَدْ يَظُنُّ أَنَّ الْكَلِمَةَ صَارَتْ أَبَدًا لِلْكَفَّارِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِمْ بِالْهَزِيمَةِ أَبَدَ الدَّهْرِ، وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، فَمَا أَهْوَنَ الْكُفَّارِ عَلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ الْكَبِيرِ، إِنَّهُمْ فِي قَبْضَتِهِ، نَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ، وَلَا يُعْجِزُونَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾. لَقَدْ قَضَى اللَّهُ ﷻ بِالذَّلَّةِ وَالْخِزْيِ وَالصَّغَارِ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ وَحَارَبَ دِينَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ مَنَالُهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوْيٌ لِي الْأَرْضُ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»، أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الصَّحِيحَةِ، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ». وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجَزِيَّةُ.

وَعَلَى قَدَرِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ تَأْيِيدُ اللَّهِ وَنَصْرُهُ وَمَدَدُهُ؛ لِذَا لَا تَتَعَلَّقُ قُلُوبُ الْمُوَحِّدِينَ إِلَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فِيهِ يَسْتَعِيثُونَ، وَبِهِ يَسْتَنْصِرُونَ. وَانْظُرْ إِلَى طَالُوتَ، خَرَجَ مَعَهُ الْأَلْفُ يَرْفَعُونَ رَايَةَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ أَمَامَ جَحَافِلِ الْكُفَّارِ مِنْ جَيْشِ جَالُوتَ إِلَّا الْفِئَةُ الْمُؤْمِنَةُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾، أَيُّ يُوقِنُونَ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ، فَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفَهُمْ، عَلَى قَلَّةٍ عَدَدِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ النَّصْرَ لَا يَمْنَحُهُ اللَّهُ لِلْبَطَّالِينَ الْجُبْنَاءِ، وَلَا لِلْخَوَّارِينَ الضُّعَفَاءِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِالْوَلِيِّ النَّصِيرِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ.*

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْفَظْنَ الَّذِي عَرَكَتُهُ الْأَيَّامُ وَالْحَوَادِثُ لَا يَسْمَعُ لِزَجَافِ الْمُرْجِفِينَ، وَلَا يَغْتَرُّ بِاغْتِرَارِ الْمُتَعَجِّلِينَ، بَلْ يَتَأَنَّى وَلَا يَعْجَلُ، وَكُلُّهُ ثِقَةٌ فِي مَوْعُودِ اللَّهِ،* إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.*

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلنَّصْرِ أَسْبَابًا ذَكَرَهَا اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الأَوَّلُ: التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ. قَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا صَفْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

الثَّانِي: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

الثَّلَاثُ: نُصْرَةُ دِينِ اللَّهِ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

الرَّابِعُ: إِعْدَادُ الْقُوَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ

اللَّهُ وَعَدُوكُمْ. ﴿٤﴾

الخَامِسُ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ﴿٥﴾

السَّادِسُ: الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «... وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

السَّابِعُ: الدُّعَاءُ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَاتَّاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى»: «وَالْمُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا قُلُوبُهُمْ وَاحِدَةٌ، مُوَالِيَةٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، مُعَادِيَةٌ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَعْدَاءِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُلُوبُهُمْ الصَّادِقَةُ، وَأَدْعِيَّتُهُمُ الصَّالِحَةُ هِيَ الْعُسْكُرُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَالْجُنْدُ الَّذِي لَا يُخْذَلُ».